

مبجج الرفق في الرق بالظير والحجوان

الكبير شحات جيبب الفينوي

مدرس قسم التفسير بالكلية

يظهر الغرب صور الرهبان الذين ارتدوا مسوك (١) الضان وقلوبهم
أمر من الصبر والسفةم أحلى من العسل يبتون الرحمة بين بنى البشر وبدعون
لها بأساليب متباينة منها إنشاء جمعيات الرفق بالحجوان وإلقاء جمعيات
الرفق بالطير كما في ألمانيا الغربية .

ولقد دعت هولندا مؤخرا دعوة تطلب من أطفال العالم - في صورة
مساابقة - رسم صورة تعبر عن الدعوة إلى الرفق بالحجوان فتقدم طفل
مصرى برسم صورة طفلين يقفان بجانب اثنين من الضان بداعب أحدهما
والثاني يطعم الآخر .

هذه أساليب الغرب في بث الفكر الصليبي وسط البهائم الأفريقية
ويكون هذا منطلقا لفرس دويحة المسيحية ويسلكون هذا المسلك لجذب انتباه
الناس إلى أن دينهم رحمة حتى مع عدوم وينهلون هذا من أنجيلهم الذي يقول :
(لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر) (٢)

بهذا الأسلوب وهذا السلوك يفتح القسبسون أرض أفريقيا لينشروا

(١) مسوك : جمع مسك بفتح أوله وسكون ثانيه : الجلد .

(٢) أنجيل متى الإصحاح الخامس آية ٤٠

عقيدتهم في بلدانها ويظهرون لأهلها جوانب الرحمة لدى الغرب ودينهم فيما
سخر الله تعالى .

ولقد سبقهم القرآن في هذا إذ جعل الرحمة بما سخر الله جزءا من
الجوانب العقائدية ولقد ساق الآيات التي تدل على ذلك .

نهج القرآن منهجا يعجز عن اختلاقه دعاة الرحمة من الإنس والجن
إلى يوم القيامة فلقد ساق في نصوصه جانباً من جوانب حياة بعض الطيور
وجعل واحداً منها داعية للتوحيد قام بلفت انتباه الخلق إلى النظر والتأمل
في آثار الله تعالى .

قال عز وجل عن سليمان عليه وعلى رسولنا السلام : وتفقد الطير فقال
مالي أرى الهدد أم كان من الغائبين ، لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو
ليأتيني بسلطان بين ، فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من
سبأ بنبأ يقين ، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشیطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يفتدون . ألا يسجدوا لله الذي
يخرج الخبيث في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لئله
إلا هو رب العرش العظيم (١) .

لقد أعطى الهدد معاني جمّة وهي : -

١ - لفت انتباه الخلق إلى ملك الملوك وأن الملك من البشر إذا سخر
له كل شيء في الدنيا من انس وجن وحيوان وطيور وهوا فإنه دائماً في افتقار
وعله قاصر في دنياه لهذا قال الهدد : أحطت بما لم تحط به ، إن مقالة

الهدهد تضع ملوك الدنيا في إطار العبودية والمعجز والافتقار لله تعالى .
٢ - استقذار الشرك وأهله . فلقد نظر الهدهد إلى القوم الذين أدركهم
في رحلته نظرة شذراء لأنهم يسجدون للشمس من دون الله ثم بين أن الذي
يدعو البرية إلى الشرك هو الشيطان فهو يزينه لها .

٣ - دعوة الهدهد إلى من هو قن للسجود وهو الله تعالى تحت وحض
على السجود لله تعالى ، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات
والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، ولهذا يسن لكل تتلى عليه هذه
الآية أن يخرج ساجداً لله تعالى .

٤ - لفت الهدهد العقول والألباب إلى الخائق وساق له صفتين: صفة
القدرة فهي التي تخرج النبات من الأرض وتظهر النجوم في السماء فهو
الخائق الموجد لكل شيء . وصفة العلم وبين أن الغيب والشهادة في عين الله
سواء .

٥ - أعطت هذه الآية معنى لم يصل إليه العلماء إلا في العصر الحديث
وهو أن العايور لغتها وقوانينها كما صرحت بذلك الآيات القرآنية (وورث
سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) (١) .

واقدم جاءت آيات أخرى بهذه المعاني قال تعالى (وما من دابة في
الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب
من شيء) (٢) .

واقدم ثبت ذلك حديثنا بالملاحظة والتجربة (واللحاق - طائر من الطيور -

(١) النمل آية ١٦

(٢) الأنعام آية ٣٨

كما هو معلوم شديد الأنفة بالغ الغيرة على عرضه فقد زعم أحد الجراحين
الفرسيتين أن الرغبة استبدت به يوماً لاقتناء لقلق فلم يوفق وذات يوم عثر
على عش لزوجين من ذلك الطائر فاختلس بيضهما ووضع مكانه يبيض
دجاج وبعد أيام فقس البيض وخرخ فرخان من أفرخ الدجاجة لا القالقي
فغاب الذكر عن أثناء بضعة أيام ثم عاد ومعه طائفة من بني جلسه حطت
كلها وأحاطت بهم ثم الأثى وجعلت تطلق وتلقو طويلاً ثم وثبت عليها
ومزقتها وقوضت العش ثم رجعت من حيث أتت، ومن ذلك أيضاً ما رواه
أحد المطارفة الانجليز من أنه شاهد لقلقين .

وقد بنيا عشهما على مدخنة أحد المنازل وذلك يوم طلع صاحب البيت
ووجد في ذلك العش بيضة فاختلسها ووضع مكانها بيضة أوزة فلما رآها
الذكر جن جنونه وطار محلقة فوق العش ثم ضاب عن الأنظار كل ذلك
والأثى في عشها تربي الأوزة كما لو كانت فرخها وبعد أيام سمع أصحاب البيت
لتظاً شديداً في حقل بجاراتهم فنظروا فإذا جماعة من القالقي قد تحلقت
وأخذت للقلق بصوت مرتفع ثم صممت لحاة ووقف واحد منها على بعد
نحو عشرين ذراعاً وجعل يصوت كأنه يوجه إليها خطابه ثم تأخر وجاء
آخر مكانه وفعل كالأول وما زالت تفعل ذلك حتى قارب النهار على الانتهاء
ثم إنها طاربت كلها صوب العش وأمامها دليل هو صاحب زوج الأثى المتممة
التي ظلت ملازمة معها وبدت عليها أمارات الخوف والفرح كأن المسكنية
قد أدكت مصيرها المختوم فلما دنا منها الذكر دفعها بعنف حتى أخرجها من
العش ثم انقضت عليها القالقي وعملت فيها وفي فرخ الأوزة حتى
قتلتها (١) .

(١) الأستاذ أحمد عبد الخالق في كتابه « عالم الطير في مصر »

ولقد جعل الله الطير آية على قدرته ووحدانيته قال تعالى (أولم يروا
إلى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكن إلا الرحمن) (١) .

ولقد كشف القرآن النفاق عن أم سلوك لها وهو التسبيح ليعلمها
الإنسان ويقنأولها بقدر حاجته دون أن يعيب بعبثها ويقتلها هبنا أو يجعلها
غرضاً لسامه أو لناره قال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات
والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما
يفعلون) (٢) .

ولذا لعن الرسول ﷺ من يعيب بها (مر ابن عمر بفتيان من قريش
قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل نخاطئة من نبلهم
فما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا لعن الله من فعل هذا
إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً) (٣) .

القرآن ورحمته بالحيوان :

جعل القرآن الحيوان والطير أمماً مثلنا في الخلق والنظام وأن لها قوانين
تعصم الجملات قال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه
إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) (٤) .

فالحيوان والدواب لها قوانينها التي تسير عليها في فباتها ويوم القيامة

(١) الملك آية ١٩

(٢) النور آية ٤١

(٣) رواه مسلم .

(٤) الأنعام آية ٣٨

يعتقها الله القصاص بينها كما صرح بهذا الحشر في عجز الآية السابقة وفي قوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) (١) .

وكما ورد في الخبر أن رسول الله ﷺ قال (لتزدى الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجملاء من القرناء) (٢) .

وهذا المنهج يبين أن الحيوان مثل نبي البعير في القصاص منها لبعضها ويقاد من الظالم للظالم منها .

ولقد قص القرآن طرفاً من حياة أدنى الدواب وهي النمل قال تعالى (حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمتكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها) (٣) .

فبينت الآيات أن للنمل لغته ولهم مساكنهم ولهم قوانينهم وساق القرآن هذا الطرف من أدنى الحيوانات ليدل على أن ما فوقها له قوانينه في الحياة .

ولقد أمر الرسول ﷺ بالرحمة بالحيوان بادئاً بأدناها رتبة فقال في شأن النمل (أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأحرقت فأوحى الله إليه أني أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح) (٤) .

ولقد نهى الرسول ﷺ عن قتل الحيوانات التي لا تضر الإنسان وأندر

(١) التفسير آية ٥

(٢) رواه مسلم .

(٣) النمل آية ١٨ ، ١٩

(٤) رواه مسلم .

قاتلها بالنار يوم القيامة وساق النبي في أسلوب خبري فقال (هذبت امرأة في هرة سجننتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقيتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض) (١) :

ولقد ربط الرسول ﷺ الاحسان إلى الدواب والرفق بها بمغفرة الذنوب وهو طريق من طرق الغفران (عن النبي ﷺ أن امرأة بغيأ رأت كلبا في يوم عار يطيف بيثر قد أداع لسانه من العطش فزعت له بموقمها فنظر لها (٢) ، (٣) .

وهكذا جعل الله سبحانه وتعالى الاحسان إلى الحيوان من السلوك العقائدي ولقد سما الرسول ﷺ بها إلى مرتبة الاحترام وعدم اللعن فلقد نهى عن لعن الحيوان الذي سخرة الله للإنسان عن أبي برة الأسلمي قال (بينما جاريتي على فاقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي ﷺ وتضايق بهم الجبل فقالت : جل (٤) اللهم عنها قال فقال النبي ﷺ لا تصاحبنا فاقة عليها لعنة (٥) .

دهرة الغرب في الميزان :

أولا : هم يفتنون الجميات ويدعون لها فالذي يدخلها قليل من الناس وهدف الغرب من هذه الدهرة المحافظة على الطير والحيوان من الانقراض

(١) رواه مسلم

(٢) يطيف : يدور ، أداع . أخرج موق في بضم الميم : الخف

(٣) رواه مسلم

(٤) جل : كلة زجر للإبل

(٥) رواه مسلم

ثانيا : حرى هؤلاء الدعاة أن يكفروا عن الدهوة إلى إنقضاء جميعات الرفق بالقطط والكلاب بالطير والحيوان ويدعون حكوماتهم إلى الرفق والرحمة بالصعوب التي تخلفت عن ركب الحضارة فحكومات الشرق والغرب نهت خيرات الصعوب الفقيرة وهدمت حضاراتها. واستعمرت تلك الصعوب واستعبدتا وآزروا اليهود في فلسطين ولولا الغرب وطفيا نه لما بقيت لإسرائيل دمعكم أيها الدعاة من دهوتكم هذه وحاسبوا رؤساءكم فقد ساعدوا اليهود على قتل الأبرياء في لبنان وفي نخيبي صابرا وشاتيلا فقد قتل آلاف من العزل من السلاح ولم يرحموا طفلا ولا شيخا رضى الغرب عن ذلك فاهيك عن هذا .

فقد بلغ من جرمكم أنكم قد أخذتم إنسان الغابة واحتفظتم به في حدائق الحيوان وطالعتنا الصحف بأن حديقة حيوان هولندا أهنت حديقة حيوان الجزيرة بمصر لإنسان الغابة لتعرضه في مصر . ألم بأن لكم أن تدعوا إلى إنقضاء جميعات الرفق بالإنسان ؟ .

دكتور / شعاع حسيب الفيومي